

(١)

## وأقيموا الشهادة لله<sup>(١)</sup>

### • الخطبة الأولى :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ القائل في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩) .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ؛ الصادق الأمين . صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

### حيرة والإيمان هو العاصم :

في غبار المعركة الانتخابية ، وفي زحمة التنافس بين المرشحين ؛ قد يلتبس الحق بالباطل ، ويؤثر الناس المنفعة على الواجب ، والنزعة الخاصة على المصلحة العامة ، وينقادون للعصبية الجاهلية لا للحق المبين .

ويقف الرجل الحريص على إرضاء ربه ، وراحة ضميره ، وأداء واجبه ، مراعيًا توجيه مقتضيات الإيمان في هذا الظرف الدقيق .

---

(١) أُلقيت هذه الخطبة بجامع الزمالك في ٢١ من ذي القعدة ١٣٧٦هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٥٧م ،

وأذيعت من إذاعة القاهرة فهي من الخطب القديمة .

شهادة يترتب عليها مصير أمة :

أيها الناخب الأمين : إن صوتك الذي تدلي به في الانتخابات ليس كلمة عابرة ، ولا مسألة تافهة ، ولكنها . . شهادة خطيرة ؛ تسأل عنها : أمام الله ، وأمام الأمة ، وأمام التاريخ .

شهادة لا يترتب عليها دفع غرامة ، أو سداد ديْن ، أو إيجاب نفقة ، أو تقرير عقوبة ؛ كغيرها من الشهادات . ولكنها شهادة يترتب عليها كيان مجتمع ، وسياسة حكومة ، ومستقبل أمة ؛ فانظر ماذا يجب عليك ، حتى تكون بمنجاة من سخط الله ، وذم الناس ، وخصوصاً المؤمنين ، فإنهم شهداء الله على الأرض .

توجيهات حكيمة في باب الشهادة :

إن للدين توجيهات حكيمة في باب الشهادة لا بد أن نرعاها .

ولا تكتموا الشهادة :

لقد أمر الله بأداء الشهادة ، وأنذر بالوعيد الشديد من يكتمها ؛ فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٣) ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ (البقرة: ٢٨٢) .

وحذر الله أشد التحذير من شهادة الزور ، وقول الزور ، حتى قرن ذلك مع الشرك بالله في سياق واحد ؛ في آية واحدة ، فقال سبحانه : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (الحج: ٣٠) .

وجعل من أوصاف عباده المقربين أنهم : ﴿ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٢) .

وفي الصحيح قال ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ثلاثا . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الإشراف بالله وعقوق الوالدين » وجلس ، وكان متكئا فقال : « ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته يسكت<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري في الأدب (١٢٦) عن أبي بكر .

## على مثل ضوء الشمس فاشهد :

ولا يكفي الإسلام من المرء أن يجتنب الزور في شهادته فحسب . ولكنه يطالبه بالتثبت فيما يشهد فيه ، والتحقق ممن يشهد له أو عليه ، حتى يأتي بالشهادة على وجهها الأكمل ، يقول تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾ (المائدة: ١٠٨) ، وروي في الحديث : « على مثل ضوء الشمس فاشهد »<sup>(١)</sup> .

فإذا شهدت لرجل بالأفضلية فاعرف شخصيته معرفة فاحصة ، فإذا عرفت ماضيه وحاضره ، ودرست غايته ووسائله ، واطمأنت إلى أفكاره وأخلاقه وكفايته ؛ فتقدم وزكّه وأنت واثق ، واشهد له وأنت مطمئن الفؤاد ، حتى إن تغير بعد ، أو حاد فحسبك أن تقول : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (يوسف: ٨١) .

شهد رجل لآخر عند عمر رضي الله عنه بالصلاح وأثنى عليه خيرا ، فقال عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟

قال : لا .

قال : أعاشرته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟

قال : لا .

قال : أعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل ؟

قال : لا .

---

(١) جزء من حديث ونصه : عن ابن عباس قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة قال : « هل ترى الشمس؟ » قال : نعم . قال : « على مثلها فاشهد أو دعه » . رواه البيهقي في الشعب (٤٥٥ / ٧) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٤) وقال : غريب من حديث طاووس تفرد به عبيد الله بن سلمة عن أبيه ، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٤ / ١٩٨) : في إسناده محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف ، وضعفه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية (٥٩٤) .

قال عمر : أظنك رأيتَه قائما في المسجد يهيمهم بالقرآن ، يخفض رأسه تارة ، ويرفع أخرى ؟ قال : نعم .

قال : اذهب فلست تعرفه . وقال للرجل : اذهب فأتني بمن يعرفك<sup>(١)</sup> .

### الشهادة لله :

ومن توجيهات الإسلام في الشهادة : أن تكون لله وحده . قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ (الطلاق:٢) ، ومعنى إقامة الشهادة لله ، أن تكون لوجه الحق الذي يرضاه ، ويأمر به لا لقرابة أو صداقة ، أو جوار ولا لهوى ، أو رشوة ، أو منفعة شخصية ، فإن الله عز وجل أمرنا بالعدل الكامل في أداء الشهادة : العدل الذي لا يتأثر بعواطف الحب مع من نحب ، ولا بمشاعر الكره مع من نكره . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء:١٣٥) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ (الأنعام:١٥٢) . وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة:٨).

### كيف يُختار الرجال؟

أيها الناخب الأمين : إن مما يطالبك به الدين : أن تعرف الموازين الأصيلة ، التي بها ترجح وتختار الرجال . وهنا نذكر تلك الكلمة التي حكاها القرآن عن ابنة الشيخ الكبير ؛ في شأن موسى : إذ قالت لأبيها : ﴿ يَتَأْتِيَا شَجَرَةً إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦) ، القوة والأمانة : هما الركنان اللذان يقوم عليهما ببيان كل عمل يُسندُ إلى الإنسان .

(١) رواه البيهقي في الكبرى كتاب آداب القاضي (١٠/١٢٥).

والقوة : هي الكفاءة في العمل ، والقدرة على أدائه بإجادة وإتقان ، بما عند صاحبها من أهلية وخبرة ، واستعداد ومران .

والأمانة أساسها : ضمير حي يجعل المرء يخشى الله ، ويخاف حسابه ، ويعرف ما له وما عليه ، فلا يبيع أمته بشخصه ، ولا دينه بدينه . فهو يُؤثر الآخرة على الأولى ، والحق على الهوى .

الأمانة وحدها لا تكفي :

ويحدثنا القرآن عن رجل أوتي العلم والعرفان ، ولم يؤت الخلق والإيمان فقال : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥) .

وقد يكون الرجل ذا أمانة ، ولكنه ضعيف الحيلة ، قليل المواهب ، عاجز عن النهوض بمهمته ؛ فماذا تُغني عنه الأمانة إذا لم تسندها القدرة والكفاية؟ أرايتم إلى أبي ذر ذلك المؤمن المجاهد الصدوق ، الذي قال فيه الرسول : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر »<sup>(١)</sup> .

لقد سأل أبو ذر رسول الله أن يوليه عملا فقال له في صراحة : « يا أبا ذر إنك ضعيف ! وإنها أمانة ، وإنها خزي وندامة يوم القيامة ؛ إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) رواه أحمد (٦٥١٩) عن عبد الله بن عمرو ، وقال مخرجه : حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف ، والترمذي في المناقب (٣٨٠١) وقال : وهذا حديث حسن ، ورواه ابن ماجه في المقدمة (١٥٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٤٨٨) والبخاري في مسنده (٢٤٨٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٨٨) .

(٢) رواه مسلم في الإمامة (١٨٢٥) عن أبي ذر ، والحاكم في معرفة الصحابة (١٠٣/٤) .

## لا بد من الكُفء الدِّين :

ومن هنا كان اجتماع القوة والأمانة ، أو الكفاية والديانة في شخص واحد قليلا في الناس ؛ حتى إن عمر كان يقول : اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة<sup>(١)</sup> .

وجلس مع قلة من الصحابة يوما فقال لهم : تمنوا فتمنى هذا مالا وذاك خيلا ، وذلك سلاحا ، ليستعينوا بها على الجهاد في سبيل الله ، فقال عمر رضي الله عنه - الخبير بما تحتاج إليه الأمم والرسالات - : أما أنا فأتمنى رجلا مثل : أبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى حذيفة ؛ فاستعملهم في طاعة الله<sup>(٢)</sup> .

وقد جاء في الحديث : « من قلد رجلا عملا على عصابة - أي جماعة من الناس - وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه ؛ فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين »<sup>(٣)</sup> .

فاللهم هيئ لأمتنا الرجال الأقوياء والأمناء ، وحل بينها وبين الفجرة والضعفاء ، إنك نعم المولى ونعم النصير .

\* \* \*

### ● الخطبة الثانية :

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضي الله عن آله وأصحابه ، ومن اتبع هداه .

قال بعض الحكماء : إذا صلح الراعي صلحت الرعية .

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦٨/٢٨) وفي السياسة الشرعية ص ٢٩ .

(٢) القصة ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين ، ص ٤٦١ ، ط دار صعب - بيروت ، ١٩٦٨ م .

(٣) رواه الحاكم في الأحكام (١٠٤/٤) عن ابن عباس مختصرا ، وقال : حديث صحيح الإسناد

ولم يخرجاه ، وحذفه الذهبي من التلخيص ، والبيهقي في الكبرى في آداب القاضي (١١٨/١٠) ورواه

الطبراني في الكبير (١١٤/١١) مطولا ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٥٤٥) .

وقال آخرون : بل إذا صلحت الرعية صلح الراعي .

وأولى الأمم بهذه الحكمة الثانية الأمم الدستورية البرلمانية ، التي انتخبت رؤساءها ، وتختار حكامها ، فهم أحق من يقال لهم : كما تكونوا يول عليكم<sup>(١)</sup>.

فلنفتش جيدا عن نضع فيه ثقتنا ، ولنراقب الله فيمن نسند إليه أمرنا ، فإن إسناد الأمور إلى أهلها أمر يستقر به المجتمع ، وتشيع به السعادة ، ويحلوه به طعم الحياة ، أما اختلال الموازين ، وتقديم من لا يستحق التقديم ؛ فأمر ينغص الحياة ، ويمسح وجهها في أعين الأحياء .

ففي الحديث الذي رواه البخاري : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال : وكيف إضاعتها؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) رواه البيهقي في الشعب (٢٢/٦) عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه بلفظ : « كما تكونوا كذلك يؤمر عليكم » وقال : هذا منقطع ورواه يحيى بن هاشم وهو ضعيف ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : قال في الأصل : رواه الحاكم ، ومن طريقه الديلمي عن أبي بكر مرفوعا ، واخرجه البيهقي بلفظ « يؤمر عليكم » بدون شك وب حذف أبي بكره فهو منقطع ، وأخرجه ابن جميع في معجمه والقضاعي عن أبي بكره بلفظ : « يولى عليكم » بدون شك ، وفي سننه مجاهيل ، ورواه الطبراني بمعناه عن الحسن : أنه سمع رجلا يدعو على الحجاج ، فقال له : لا تفعل إنكم من أنفسكم أتيتم ، إنا نخاف إن عزل الحجاج أو مات أن يتولى عليكم القردة والخنازير ، فقد روي أن أعمالكم عمالكم ، وكما تكونوا يولى عليكم . (٢/٩٩٢) ، وقال الشوكاني في (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص ٢١٠) : في إسناده وضاع وفيه انقطاع . وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٢٠) . والذي عند الحاكم : عن صعصعة بن صوحان قال : خطبنا علي عليه السلام حين ضربه ابن ملجم فقلنا : يا أمير المؤمنين استخلف علينا . فقال : أترككم كما تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلنا : يا رسول الله استخلف علينا فقال : « إن يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خياركم » قال علي : فعلم الله فينا خيرا ، فولى علينا أبا بكر رضي الله عنه . وحذفه الذهبي من التلخيص لضعفه (١٥٦/٣) .

(٢) رواه البخاري في العلم (٥٩) عن أبي هريرة ، وأحمد في المسند (٨٧٢٩) .

(٢)

## محمد الرسول المجاهد<sup>(١)</sup>

### ● الخطبة الأولى :

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

الاحتفال بمولد الرسالة ليس بدعة :

كلما أهل علينا شهر ربيع الأول ، هبت علينا ذكريات رسول الله ﷺ وذكريات مولده عليه الصلاة والسلام ، ففي شهر ربيع الأول وُلِدَ محمد ﷺ ، وفيه هاجر . هذا النبي الكريم من حقه علينا أن نتذكر سيرته كلما جاءت مناسبة من المناسبات ، وليس هذا من الاحتفال المبتدع ، فنحن إنما نذكر الناس بهذه السيرة ، ونربطهم بهذه الرسالة المحمدية ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذكرون رسول الله ﷺ في كل حين ، ويقول سعد ابن أبي وقاص : كنا نروي لأبنائنا مغازي رسول الله ﷺ كما نحفظهم السورة من القرآن<sup>(٢)</sup> ، يروون لهم ما حدث في بدر ، وما حدث في أحد ، وما حدث في الخندق ، وفي بيعة الرضوان . . إلخ ، فلذلك علينا أن نهتدي بالصحابة ، وننتهز الفرصة بعد الفرصة ؛ لنذكر الناس بالرسول الكريم ﷺ .

(١) أُلقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ، في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ، الموافق : ٨ يونيو ٢٠٠١ م .

(٢) انظر : سيرة ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢ .

حينما نحتفل بمولده<sup>(١)</sup> عليه الصلاة والسلام ؛ ففي الحقيقة إننا لا نحتفل بمولد شخص ، إنما نحتفل بمولد رسالة . رسالة ظهرت على يد رسول الله ﷺ . فحديثنا عن الرسول باعتباره مرسلًا لا باعتباره شخصاً ، أو باعتباره شخصاً أعدته العناية الإلهية ليحمل الرسالة الخاتمة للبشرية ، ويحمل الرسالة العالمية ، التي امتدت طويلاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup> ، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩) ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١) .

### لماذا الحديث عن الرسول المجاهد ؟

عن هذا الرسول وغيره رسالة يكون حديثنا أيها الإخوة ، ولن نتحدث في هذه المناسبة إلا عن جنب واحد من جوانب السيرة النبوية ، الشاملة الجامعة العاطرة ، وهو جانب الجهاد في سبيل الله ، نتحدث عن محمد المجاهد ، لن نتحدث عن محمد الزاهد ، ولا عن محمد العابد ، ولا عن محمد الأخلاقي ، ولا عن محمد في جوانب كثيرة جداً . . . . . ولكن نتحدث عنه في جانب الجهاد ، فما أحوج الأمة في هذه الآونة - التي تتخاذل فيها عن واجبها نحو نصرته إخوانها في المسجد الأقصى - ما أحوجها إلى أن تُحدَّث عن الجهاد وتُذكر بالجهاد .

(١) راجع لنا فتوى حول الاحتفال بالمولد النبوي ، على موقعنا (www.qaradawi.net) .

(٢) من كلام الإمام الشهيد حسن البنا ، انظر : كتاب شيخنا ( الخصائص العامة للإسلام ) ص ٩٥ .

كان رسول الله ﷺ سيد المجاهدين ، كما كان في كل شيء هو السيد والإمام ، والقائد والمقدم والمفضل على غيره ؛ في كل ناحية من نواحي حياته : هو الأول ؛ هو العابد الأول ، والزاهد الأول ، والمجاهد الأول ، هو أول كل شيء ، يتباهى به الناس ، ويتغنى به الناس ، فكان هو المجاهد الأول .

### مراتب الجهاد عند ابن القيم :

ابن القيم رحمه الله ذكر في الجهاد ثلاثة عشرة مرتبة<sup>(١)</sup> ، جهاد النفس أربع مراتب ، وجهاد الشيطان مرتبتان ، وجهاد الكفار أربع مراتب ، وجهاد الظالمين والمبتدعين والفسقة ثلاث مراتب<sup>(٢)</sup> .

### النبي ﷺ جاهد نفسه في سبيل الله :

والنبي ﷺ كان حظه الأوفى من هذه المراتب كلها ، جاهد نفسه في سبيل الله ليكون خلقه القرآن كما وصفته عائشة<sup>(٣)</sup> ، فلا بد أنه كان ممن تحقق فيهم قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩) جاهد نفسه الأمانة بالسوء حتى أصبحت نفساً لوامة ، ثم نفساً راضية مطمئنة ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ﴾ (الفجر: ٢٧) .

كانت نفسه نفساً مطمئنة ، باليقين بالله ، بعد طول جهاده لنفسه ، منذ كان شاباً ؛ بل منذ كان صبياً ، لم يُعرف عنه أنه دخل فيما يدخل فيه أهل الجاهلية ،

(١) تحدث فضيلة الشيخ عن هذه المراتب بالتفصيل في كتابه (فقه الجهاد) نشر مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٢) انظر : زاد المعاد (٣/٥-١٢) طبعة الرسالة بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ، رضي الله عنها حين سألتها سعد بن هشام بن حكيم : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ . قالت : أألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت . فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن . رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦) وأبو داود في الصلاة (١٣٤٤) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب الصلاة (١٤١٨) وفي «المجتبى» كتاب قيام الليل (١٦٠١) .

لم يسجد لصنم ، ولم يشرب خمرأ ، ولم يشارك في لهو الجاهلية<sup>(١)</sup> ، بل كان إنساناً صنّع على عين الله ، واصطنعه الله لنفسه ، واصطفاه من بين خلقه ، فرُبِّي تربية خاصة ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأكمل تعليمه ، وأعدّه للرسالة العظمى ، ﴿ أَلَمْ نَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ ﴾ (الضحى: ٦، ٧) هداه الله وهو في حيرة الجاهلية ، استخرجه الله من براثن الجاهلية ليعده ليكون الرسول الأعظم ، ليكون حامل الرسالة العامة الخالدة إلى البشرية إلى أن تقوم الساعة ، جاهد نفسه في الله ، وجاهد شيطانه ، حتى أسلم شيطانه ، يقول النبي ﷺ « ما من أحد منكم إلا وله شيطان ، قالوا : حتى أنت يا رسول الله ؟ ! قال : حتى أنا ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمر إلا بخير »<sup>(٢)</sup> حتى الشيطان استجاب له وأطاعه ، وأصبح لا يأمره إلا بخير ، أصبح ينبوعاً من ينابيع الخير ؛ يتدفق بالهدى في كل مجال ، عن يمين وشمال .

(١) فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لها هممت بقيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا مرتين من الدهر ، كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها : أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت ، فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء ، وضرب دفوف ، ومزامير ، فقلت : « ما هذا ؟ » فقالوا : فلان تزوج فلانة ، رجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، « فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فرجعت » فقال : ما فعلت ؟ « فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت ، فسمعت مثل ذلك ، فقبل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي » فقال : فما فعلت ؟ قلت : « ما فعلت شيئاً » ، قال رسول الله ﷺ : « فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته ». البداية والنهاية لابن كثير (ج ٢/ ٢٨٧).

(٢) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٤) عن ابن مسعود.

## جهاد في كل جهة وبكل سلاح :

هذا هو محمد ﷺ ، جاهد نفسه في الله ، وجاهد شيطانه في الله ، وجاهد المشركين والمنافقين كما أمره ربه ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ ﴾ (التوبة: ٧٣) ، (التحریم: ٩) . جاهد الكفار بنفسه ، وجاهدهم بماله ، وجاهدهم بلسانه ، وجاهدهم بيده ، بكل أنواع الجهاد ، قال الله تعالى له ، وهو في مكة في سورة الفرقان ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥١، ٥٢) . ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ، هذا الجهاد الكبير هو : جهاد الدعوة والبيان والتبليغ عن الله عز وجل .

لم تكن مجابهة المجتمع الجامد بالأمر السهل :

ولا تظنوا أيها الإخوة : أن هذا كان أمراً سهلاً ، إن مجابهة مجتمع وثني مصرّ على الوثنية ، مقتنع بما كان عليه الآباء والأجداد ، لا يحاول أن يمتحن فيما كانوا عليه ، كانت أمراً صعباً ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤) . كان هذا أمراً عسيراً .

هذا المجتمع الجامد الذي وقف على التقليد ، قلّد تقليداً أعمى ، لم تكن مجابهته بالأمر السهل . حينما يقول لهم : إن ألّهتكم هذه ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (النجم: ٢٣) ، إنها لا تبصر ولا تسمع ، ولا تعطي ولا تمنع ، ولا تضر ولا تنفع ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ أَلَمْ يَأْمُرْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدِينُوا بِنُورِ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَهُمْ يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا نَادَىٰ السَّمْعُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٩٤، ١٩٥) ، كيف تعبدون هذه الأشياء التي

ليس لها حتى ما للإنسان ولا للحيوان؟! هذه الحجارة الصماء . ولكن القوم قد أغلقوا عقولهم فلا يعقلون ، وأغلقوا أعينهم فلا يبصرون ، وأغلقوا آذانهم فلا يسمعون ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت: ٥) .

هكذا كان موقفهم ، وهكذا ظلَّ رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعوهم إلى الله لا يكف ، دعاهم ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، وصدع بما أمره الله حينما قال له الله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤) .

وجمعهم عند الصفا وقال لهم : «يا معشر قريش رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي ؛ تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟» لو قلت لكم : إن وراء هذا الوادي القريب عدواً جاء بخيله ورجله ، يريد أن يغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، وهنا قام عمه أبو لهب وقال له : تبا لك سائر هذا اليوم ألهدنا جمعتنا؟ ونزل قول الله تعالى يدافع عن رسوله وحببيه ﷺ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (المسد: ١-٥) (١) .

(١) رواه البخاري في الجناز (١٣٩٤) عن ابن عباس ، ومسلم في الإيمان (٢٠٨) وأحمد في المسند (٢٨٠١) والترمذي في تفسير القرآن (٣٣٦٣) والنسائي في «السنن الكبرى» في التفسير (١١٦٥٠) . ولفظ البخاري : عن ابن عباس لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤) . صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي ؛ يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطن قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟!» . قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : «إفني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهدنا جمعتنا . فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

## معركة بين الرسول ﷺ وقومه :

قامت معركة بين الرسول وقومه ، الرسول يدعو إلى التوحيد ، وهم يدعون إلى الوثنية . يدعو إلى الحق وهم متمسكون بالباطل . يدعو إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار . ولكنه ﷺ ظل مستمسكاً بعري دعوته ، لم يتزحزح قيد شعرة عن هذه الدعوة ، حاولوا أن يغروه بالمال ، بالمنصب ، بالملك ، بالسيادة ، ولكنه رفض ذلك كله . جاءه عتبة بن ربيعة ، وعرض عليه وقال له : يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به مالاً ؛ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا - جعلناك سيداً - حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن (يعنون عفریت يتسلط عليك) جئنا لك بالأطباء لععالجك ، إن كنت ... وإن كنت . . فماذا كان رد النبي ﷺ؟ لم يرد عليه بشيء ، وإنما قرأ عليه آيات من القرآن من أوائل سورة فصلت (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ حَمْرٌ ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ كَتَبْتُ فَصَلَّتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنُ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ؕ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ (فصلت: ١-٧) إلى آخر هذه الآيات ، حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِّثْلَ صَبْعَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿ (فصلت: ١٣) ففرع الرجل وقال له : يا ابن أخي أناشدك الله والرحم أن تكف ، وعاد إلى قومه بوجه غير الوجه ، وقال لهم : دعوا محمداً وشأنه . فقالوا له : سحرك محمد - ذهب مندوباً لهم ليعرض عليه هذه العروض ، عساه أن يختار واحداً منها - ولكنه أسمعته شيئاً آخر ، قال لهم : هذا رأيي <sup>(١)</sup> .

(١) راجع : البداية والنهاية لابن كثير (٦٨/٣ ، ٦٩) ، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٤) .

## قريش تقاطع محمداً وأصحابه مقاطعة اقتصادية واجتماعية :

رفض محمد ﷺ المال والجاه والملك ، وكل ما يتطلع إليه الناس ، لأنه ما كان يريد مالاً ولا جاهاً ولا دنيا ، إنما كان يريد أن يبلغ دعوة ربه إلى الناس ، هذا ما يريده ، ما كان يريد الدنيا ، لو أراد الدنيا لقبل ما عرضه هؤلاء . وظل يكافح ، ويصبر على الأذى ، هو وأصحابه ؛ حتى قررت قريش أن تقاطع محمداً ، وتقاطع أصحابه ، وتقاطع من يحميهم ويدافع عنه ، مثل أبي طالب عمه ، الذي قدر الله أن يظل على دين قومه ، وكانت هذه حكمة من الله ليحميه بجاهه .

قرروا أن يقاطعوا هؤلاء مقاطعة اقتصادية واجتماعية ، أي لا يبيعون لهم ، ولا يشترون منهم ، ولا يزوجهم ، ولا يتزوجون منهم ، وحوصروا في شعب ، يسمى شعب أبي طالب ، دخله المسلمون كافة ، ودخله معهم بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم ، المسلم دخله باسم الإسلام ، والكافر دخله عصبية لمحمد ولمن معه من بني قومه ، وأصيب المسلمون بابتلاء شديد نتيجة هذه المقاطعة ، حتى سمع بكاء صبيانهم من بعيد من الجوع ، وحتى أكل المسلمون أوراق الشجر ؛ حتى دامت أشداقهم ، وجرحت أفواههم من الشجر الذي فيه الشوك ، حتى فرج الله تبارك وتعالى عنهم ، بعد نحو ثلاث سنوات ، هيأ الله رجالاً حموا وتحمسوا من أجل الرسول وأصحابه ، ومن أجل بني هاشم وبني المطلب ، وطلبوا نقد الصحيفة الظالمة القاطعة الجائرة ، التي تعاهدوا فيها على مقاطعة هؤلاء القوم وعلقوها في جوف الكعبة وشقوا هذه الصحيفة<sup>(١)</sup> .

(١) للمزيد من تفاصيل قصة الصحيفة الجائرة ، وأحداث شعب أبي طالب وما تخلل هذه الفترة من أحداث ، انظر : دلائل النبوة للبيهقي (٢/٨٠-٨٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/٤٣-٧١) والروض الأنف للسهيلى (٢/١٠١-١٢٩) وزاد المعاد (٣/٢٦).

## عام الحزن<sup>(١)</sup> :

ولكن النبي ﷺ بعد أن انتهى من هذه المحنة ؛ دخل في محنة أخرى ، فقد عمه أبا طالب الذي كان سنداً له في الخارج ، وفقد زوجته خديجة التي كانت سنداً له في الداخل ، وسمّى هذا العام : عام الحزن ، وآذاه قومه بما لم يكونوا يقدرّون على إيذائه به أيام عمه أبي طالب ، واشتدوا في إيذائه وإيذاء أصحابه .

## رحلة الطائف<sup>(٢)</sup> :

واضطر عليه الصلاة والسلام أن يخرج من مكة ، ويذهب إلى مكان آخر عسى أن يجد فيه قلباً متفتحة ، وأذاناً صاغية ، فذهب إلى الطائف ، أقرب المدن إلى مكة ، وإلى أهله من بني ثقيف ، وظلّ في الطائف نحو عشرة أيام لا يجد كبيراً ولا شريفاً إلا وعرض عليه دعوته ، ولكنهم آذوه أشد الإيذاء ، وقابلوه أسوأ مقابلة ، ولم يجد عندهم ما يمكن أن يقدم شيئاً لهذا الدين الجديد ؛ بل سلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ، وجلسوا صفين عن يمين وشمال ، يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، ومعه مولاه زيد بن حارثة يدافع عنه ، حتى شجّ في رأسه ، ودُمي في قدميه ، وأكثر من دمي القدمين وجرح القدمين : أنه دمي قلبه ، وجرح قلبه ، نتيجة هذه المقابلة السيئة التي لم تعرف له قدراً ، حتى قال له بعضهم : ألم يجد الله في جزيرة العرب غيرك حتى يرسلك؟! وقال له آخر : إن كنت صادقاً فأنت أكبر من أن أكلمك! وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك! فلن أكلمك صادقاً أو كاذباً. وقال الثالث : لأمزقن أستار الكعبة. وعاد من هذه الرحلة ؛ كسير الخاطر ، حزين القلب ، وشكا إلى ربه عز وجل - وإلى الله المشتكى وهو المستعان - شكا شكواه الأسيفة الرقيقة

(١) للمزيد من تفاصيل عام الحزن وقصة الطائف راجع : سيرة ابن هشام (٧٨/٢) وزاد المعاد لابن القيم (٢٨/٣) .

(٢) انظر : المرجعين السابقين .

الحزينة ؛ التي نحفظها كلنا حينما قال : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ؛ أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني؟! إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتي هي أوسع لي ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل عليّ غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(١)</sup> .

بعد المحنة منحة :

وقد أكرمه الله بعد ذلك بأن أسلم على يديه في هذه الرحلة عدّاس خادم بستان عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأسلم على يديه الجن ، الذين جاء فيهم ما جاء في سورة الأحقاف وفي سورة الجن ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ (الجن: ١، ٢) ، كأن الله تعالى يقول له : إذا أعرض عنك الإنس ؛ فلقد أقبل عليك الجن ، ثم عوضه برحلة أفضل من هذه الرحلة ، وعوضاً عن هذه الرحلة كان الإسراء به ، إلى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا ، إلى سدرة المنتهى ، كانت رحلة الإسراء ورحلة المعراج ، رحلة أرضية ورحلة سماوية .

الجهاد الكبير طوال ثلاثة عشر عاماً :

عاش رسول الله ﷺ طوال ثلاثة عشر عاماً في مكة ؛ يجاهد جهاد التبليغ والبيان ، وجهاد الصبر والاحتمال على ما يلقي من الأذى ، وفي ذلك نزل قول الله تعالى في أوائل سورة العنكبوت ﴿ الْمَرَّةَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

(١) انظر : تاريخ الطبري (١/٥٥٤) والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ، وقال : رواه الطبراني وفيه

ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ببقية رجاله ثقات (٧/٣٧) .

ءَامِنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>ط</sup> فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٦٥﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ (العنكبوت: ٦١-٦٨) ، هذا الجهاد كان جهاد الاحتمال والصبر والمثابرة في ذات الله ، وفي سبيل الله ، وفي سبيل دعوة التبليغ ، ودعوة الله ، كان هذا هو الجهاد الكبير ، ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٢) ، طوال ثلاثة عشر عاماً ، جاهد النبي في تبليغ الدعوة ، ثم هاجر إلى الله عز وجل ، أذن الله له بالهجرة إلى المدينة ، إلى يثرب التي سميت بعد ذلك المدينة ، حيث بايع الأوس والخزرج بيعتين ، بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الثانية ، وعاهدهم وعاهدوه على أن يهاجر إليهم ، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وذرايرهم وأنفسهم <sup>(١)</sup> .

وهاجر رسول الله ﷺ ، هاجر من مكة وقال : « والله ، إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إليّ ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجتُ » <sup>(٢)</sup> . هكذا قال لها .

### مرحلة الجهاد المسلح :

ذهب النبي ﷺ إلى مهجره الجديد ، إلى دار الإسلام الجديدة ، إلى قاعدة الإسلام الصلبة ؛ إلى يثرب ، أو إلى المدينة التي نورها قدومه ﷺ ، وحوله

(١) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير (٢٨/٦) وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني ، ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات (١٩١/٦) .  
(٢) رواه الترمذي في المناقب (٣٩٢٦) ، وقال : حسن غريب ، وأبو يعلى في المسند (٦٩/٥) ، وابن حبان في الحج (٣٧٠٩) ، وصححه الأرنؤوط ، والطبراني في الكبير (٢٦٧/١٠) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٨٢) ورواه الحاكم في المناسك (٦٦١/١) بلفظ : « ما أطيبك من بلدة ، وأحبك إليّ ، و لولا أن قومك أخرجوني ؛ ما سكنت غيرك » وصحح إسناده .



ومرّها ، شاء الله أن يموت أبوه وهو في بطن أمه ، وأن تموت أمه وهو في السادسة من عمره ، وأن يموت جده - سيد مكة - وهو في الثامنة من عمره ، ليلاقى الحياة ويقاسيها ، بما فيها من ألوان الألم والعذاب ، ويكسب قوته بنفسه ، ليس كأولاد الذوات ، وأولاد الأسر الكبيرة ، وهو من أسرة كبيرة ، ولكن أباه لم يترك له مالا ، أبوه مات في العشرين من عمره لم يكوّن ثروة ، وكان عمه أبو طالب كثير العيال ، وليس عنده مال كثير ، فشاء الله أن يجابه الحياة بنفسه ويعمل بنفسه ، ويرعى الغنم ، ويتعلم في جو البادية ، وجو الصحراء ، وجو المراعي .

هكذا أراد الله لنبيه ﷺ أن ينشأ هذه النشأة ، ويعيش على أقل القليل ، على ما خشن من العيش ، على ما قلّ من الطعام والشراب ، ولذلك كان جسمه معداً للجهاد في سبيل الله ، كان جسماً قوياً ، حتى إن أحد المصارعين المعروفين ، واسمه ركانة أراد أن يصارعه ﷺ وجعل إذا غلب محمداً يأخذ منه شاة وإذا غلبه هو أعطاه شاة ، ولكن النبي ﷺ صارع ركانة فصرعه ، ثم تنازل له عن الشاة وقال له : « ما كان لنا أن نصرعك ونأخذ غنمك »<sup>(١)</sup> ، ودخل الرجل في الإسلام .

(١) قصة مصارعة النبي ﷺ لركانة رواها أبو داود في اللباس (٤٠٧٨) والترمذي في اللباس (١٧٨٤) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وإسناده ليس بالقائم ، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ، ولا ابن ركانة ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٠٠) ، وفيه عن علي بن ركانة عن أبيه : أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ، وفي رواية أخرى : عن عبد الله بن الحارث قال : صارع النبي ﷺ أبا ركانة في الجاهلية ، وكان شديداً ، فقال : شاة بشاة - كان هذا قبل تحريم القمار ، أو أن النبي لم يقبل هذا ، ومن ثم لم ينفذه - فصرعه رسول الله ﷺ. فقال أبو ركانة : عاودني ، فصارعه فصرعه رسول الله ﷺ أيضا. فقال : عاودني في أخرى ، فعاوده فصرعه رسول الله ﷺ أيضا. فقال أبو ركانة : ماذا أقول لأهلي؟! شاة أكلها الذئب ، وشاة تكسرت ، فماذا أقول للثالثة !! فقال النبي ﷺ : « ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرملك ، خذ غنمك » رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٢٧/١١) وحسن هذه الرواية الألباني في غاية بلوغ المرام (٣٧٨).

## المجاهد الأول في ميدان المعركة :

كان ﷺ يركب الفرس مُعَرَّوْرِيًّا<sup>(١)</sup> لا سرج له ولا لجام ، كان الجسم جسمًا قوياً خشناً معداً للجهاد في سبيل الله ، وكانت نفسه نفساً شجاعاً لا تعرف الخوف إلا من الله عز وجل ، ولذلك يقول فارس الإسلام علي بن أبي طالب : كنا إذا احمرت الحدق ، وحمي الوطيس ، واشتد البأس ، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .<sup>(٢)</sup>

هكذا كان عليه الصلاة والسلام ، جسم قوي ، نفس شجاعاً لا تخاف ، بل كان يتمنى أن يقتل في سبيل الله ويقول : « لولا أن أشق على أمتي ؛ ما قعدت خلف سرية أبداً »<sup>(٣)</sup> . النبي عليه الصلاة والسلام غزا سبعاً وعشرين غزوة حضرها بنفسه ، وشارك فيها بنفسه ، وبعث بضعة وخمسين سرية من أصحابه ، فكان إذا خرج يخرجون معه ، فكان يبعث مجموعة من أصحابه فقط ، وكان يقول : « ولوددت أن أقتل في سبيل الله ، ثم أحيأ ، ثم أقتل ، ثم أحيأ ، ثم أقتل »<sup>(٤)</sup> .

هكذا كان ﷺ ، كان قلبه موصولاً بالله ، والقلب الموصول بالله لا يخاف أحداً إلا الله ، كان إذا دخل المعركة استعان بالله عز وجل وقال : « اللهم إنا

---

(١) روى ذلك أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت ، وهو يقول : « لن ترأعوا لن ترأعوا » . وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال : « لقد وجدته بحرا ، أو إنه لبحر » . رواه البخاري في الجهاد والسير (٦٠٣٣) ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧) وابن ماجه في الجهاد (٢٧٧٢) والترمذي في أبواب الجهاد (١٦٨٧) والنسائي في « الكبرى » في عمل اليوم والليلة (١٠٨٣٧) .

(٢) رواه أحمد (١٣٤٧) وقال محققوه : إسناده صحيح ، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٨٥) والحاكم في المستدرک في تقسيم الفيء (١٥٥/٣) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه البخاري في الإيمان (٣٦) عن أبي هريرة ، وهذا لفظه ، ومسلم في الإمارة (١٨٧٦) وابن ماجه في الجهاد (٢٧٥٣) .

(٤) تنمة الحديث السابق .

نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم<sup>(١)</sup> ، « اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ؛ اهزمهم وانصرنا عليهم »<sup>(٢)</sup> . كان يقوي أصحابه بهذه الأدعية التي تشد أزرهم وتقوي ظهرهم ، وتنفخ في روحهم .

هكذا كان عليه الصلاة والسلام ، كان معداً ليقود الجهاد في سبيل الله ، كان متمرساً على الحرب ، وأدوات الحرب كلها ، وكان يُغري أصحابه بذلك ويحرضهم على ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ فَفَقِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ٨٤) وقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (الأنفال: ٦٥) فكان يحرضهم وهو أسوة لهم ، كان يتقلد السيف ويلبس الدرع والخوذة ، الدرع على صدره ، والخوذة على رأسه ، ويتترس بالترس ، ويحمل الرمح والقوس العربية ، ويرمي بالنبل ، قاتل وقتل ، قتل أبي ابن خلف في غزوة أحد ، حينما أراد أن يقتل رسول الله ﷺ فقال له : « بل أنا أقتلك » فضربه فأصيب ، ولما رجع إلى مكة قيل له لا بأس عليك ، الجرح يسير ، فقال لهم : إن محمداً قال : سأقتلك ، فوالله لو بصق عليّ لقتلني<sup>(٣)</sup> .

هكذا كان ﷺ ، أعده الله ليجاهد في سبيله ، فعاش عمره في المدينة عشر سنوات ، في السنة الأولى كانت هناك مناوشات بينه وبين القبائل من حول المدينة ، وكان عليه أن يرسل السرايا من أصحابه لتؤمن ما حول المدينة ، وكان على هؤلاء الأعراب إما أن يستجيبوا فيعاهدوا النبي ﷺ ، وإما أن يؤدبهم ؛ لأنه يستعد لمعركة قادمة ، يعلم أنها آتية لا ريب فيها ، ثم كانت غزوة بدر ، وكانت غزوة أحد ، وكانت غزوة الخندق ، أو غزوة الأحزاب ، وكانت غزوة

(١) رواه أحمد (١٩٧٢٠) عن عبد الله بن قيس ، وقال مخرّجه : حديث حسن ، ورواه أبو داود في الصلاة (١٥٣٧) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٣٦٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٣٣) ، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤٢) ، وأحمد في المسند (١٩١٠٧) ، والترمذي في الجهاد (١٦٧٨) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٩٦) ، عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٣) راجع : السيرة النبوية لابن هشام (٩٣/٣ ، ٩٤) .

الحديبية ، وكانت غزوة خيبر ، وكان فتح مكة ، وكانت معركة الطائف ، ومعركة حنين ، تسع غزوات كبرى ، من سبع وعشرين غزوة حضرها النبي ﷺ ، وأربع وخمسون أو خمس وخمسون سرية ؛ بعثها النبي ﷺ من أصحابه إلى جهات شتى .

هذا الدين لم يأت إلينا عَفْوَاً صَفْوَاً :

هذه الحرب الطويلة أيها الإخوة ، جعلت كل بيت في المدينة يقدم شهيداً أو أكثر ، ما من دار من الدور ولا أسرة من الأسر ، إلا وقدم شهيداً أو أكثر من الشهداء ، هذا الدين الذي نعم به اليوم ، ونستظل بظله الوارف ، لم يأت إلينا عَفْوَاً صَفْوَاً ، لم يأت إلينا غنيمة باردة ، ولا لقمة سائغة ، لقد بذلت فيه الجهود ، أُريقَت فيه الدماء ، أزهقت فيه الأرواح ، قُدِّمَت فيه التضحيات ، ينبغي أن نذكر فضل الله علينا .

أيها الإخوة : إن هذا الدين الذي ورثناه عن آبائنا ولم نبذل فيه شيئاً ، قُدِّمَ من أجله الكثير وفي سبيله الكثير . كان ﷺ وأصحابه يحاربون في عدة جهات ، الجبهة الوثنية في مكة وفي جزيرة العرب ، والجبهة اليهودية التي غدرت برسول الله ﷺ ونقدت عهده ، وهناك جبهة أخرى متربصة أرادت أن تغزو النبي قبل أن يغزوهم ، فغزاهم هو قبل أن يغزوه ، الروم النصارى الذين التقى بهم في سرية مؤتة ، وفي غزوة تبوك . وكان هناك الفرس الذين يقفون من قريب في إيران في دولة فارس ، التي هي إحدى الدولتين الكبيرتين في العالم ، تتنازع السيادة على العالم مع الروم ، وكان هناك جبهة داخلية أخطر من هؤلاء جميعاً هي جبهة المنافقين ، جبهة المنافقين الذين يقولون : ﴿ ءَاْمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨-١٠) تَخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ (البقرة: ٨-١٠) ، هذه الجبهات واجهها رسول الله ﷺ ، فكيف

واجبها ، وكيف انتصر عليها ؟ عسى الله أن يهيئ لنا حديثاً في الخطبة القادمة إن شاء الله . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

\* \* \*

## ● الخطبة الثانية :

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

### تحية لشباب المقاومة الاستشهاديين :

لا نستطيع من فوق هذا المنبر ؛ إلا أن نُحيي هذا الشباب المؤمن الشباب الذي وضع رأسه على كفه ، وقدم نفسه لقضيته ، وللمسجد الأقصى ، وللأمة الإسلامية كلها ، نُحيي هؤلاء الشباب ؛ شباب المقاومة الإسلامية ، شباب الجهاد الإسلامي الذين يروعون أعداء الله ما بين الحين والحين ، بهذه العمليات البطولية الاستشهادية التي أثبتت أن المسلمين لا يزالون قوة مؤثرة ، وأن المسلم يستطيع أن يجعل من نفسه قبلة بشرية تواجه القبلة النووية ، هذا الشباب الذي فجر التفجير الأخير ، الذي أرعب اليهود ، أدخل الرعب في قلوبهم ، زلزل الأرض من تحت أقدامهم ، عشرون قتيلاً من المجرمين ، ومائة أو أكثر من مائة من الجرحى ، هؤلاء نحييهم ونشد على أيديهم ، ونقول لهم : استمروا في جهادكم ، ما دام الاحتلال قائماً ، وما زال الظلم مستمراً ، ما دام هذا الطغيان يتحكم في الرقاب ، ويتسلط على عباد الله ، ما دام شارون متألهاً في الأرض ، يزعم أنه أشد قوة من عاد وثمود ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ (فصلت: ١٥).

شارون الذي يتحدى ، ويتصدى ، ويتعدى ؛ ولا يبالي ، لأنه وجد أمة للأسف كأنما هي ميتة ، كأنما نخاطب أصحاب القبور ، الأمة التي استيأست ؛ يجب أن يكون هناك شباب يُحيي مواتها ، ويُنفخ فيها الروح من جديد ، هذا

الشباب البطولي ، هذا الشباب الفدائي ؛ الذي يفجر نفسه في أعداء الله ، هو دليل على حيوية هذه الأمة ، ينبغي أن ندعو لهؤلاء الذين استشهدوا في سبيل الله ، ندعو لهم بالرحمة ، وبالجنة ، وبأعلى المراتب عند الله عز وجل ، وندعو للشعب الفلسطيني بمزيد من تخريج مزيد من هؤلاء التلاميذ ، تلاميذ مدرسة الجهاد المحمدي ، الجهاد النبوي ، هؤلاء التلاميذ هم الذين سيحون القضية ، هم الذين يفرضون على شارون وغير شارون أن يطالب بالتفاوض ، ينبغي أن يستمر الجهاد ، وأن تستمر المقاومة ، وأن تستمر الانتفاضة ، وكل عمل لإجهاض الانتفاضة وإيقافها هو ضرب من الخيانة لله ولرسوله ، ضرب من الخيانة للأمة وللأقصى وللقدس ، ضرب من الخيانة لقضية فلسطين .

يجب أن تستمر الانتفاضة ويجب أن تدعم الانتفاضة ، ويجب أن تؤيد الانتفاضة بما نستطيع ؛ بأنفسنا إن استطعنا ، بأموالنا إن لم نستطع الجهاد بالأنفس ، بدعائنا في الصلوات والخلوات والأسحار ، بإنجادنا لهم بما استطعنا من أموال ، بمقاطعة البضائع الصهيونية والأمريكية ، بكل ما نستطيع علينا أن نؤيد الانتفاضة ونؤيد إخواننا في الانتفاضة ، ولا نتراجع عن موقفنا أبداً ، نحن أصحاب حق ، كيف نتخلى عن حقنا والمبتلون يريدون بباطلهم أن يضيعوا حقنا ، وأن يميئوا حقنا ، وأن يجبرونا أن نتنازل عن حقنا؟

الغريب الدخيل الطريد ؛ الذي جاء من بلاد شتى ، واحتل الأرض ، وانتهك العرض ، وداس الحقوق والحرقات ؛ هذا يريدنا أن ننزل عند رأيه ؛ ولن ننزل ، لن ننزل ما دام فينا مثل هؤلاء الشباب الذين يفجرون أنفسهم في أعداء الله ، هذا ما نؤيده ، وما نرحب به ، وما نحبيه ، وإذا مات أحد من المدنيين فأنا أقول : كل المجتمع الإسرائيلي عسكري ، من لم يكن في الجيش اليوم يمكن أن يستدعى غداً ، وإذا مات طفل أو نحو ذلك فهو غير مقصود ، إنها ضرورة الحرب وللحرب ضرورات والضرورات تبيح المحظورات .

\* \* \*